البنية الإيقاعية في المزدوجة*

الدكتور: تبرماسين عبد الرحمان
والأستاذة : جباري عائشة
قسم الأدب العربي
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة محمد خيضر بسكرة

1- الايقاع الخارجي في المزدوجة
ا- البحر
ب- القافية
ج- الروي
د-المستوى الصوتي في المزدوجة
- التوازنات الصوتية
ا- المحسنات البديعية المعنوية
ب- المحسنات البديعية اللفظية
ج- المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية
- التكرار في المزدوجة
ا- تكرار لفظة مقابل لفظة في المزدوجة
ب- تكرار الجمل في المزدوجة.
2- الإيقاع الداخلي في المزدوجة

* المزدوجة للمقري المشهور والمعروف باسم أحمد بن محمد بن أحمد المقري المكنى بأبي العباس الملقب بشهاب الدين : والمزدوجة قصيدة طويلة بمثابة المخمسات أو المسمطات عددأبيلتها450 بيت كلها مبنية على الإزدواج أو الثنائيات سواء كانت ضدية أو متوافقة مثل ثنائية الروي ، والقافية ،وحتى القص وهي تشبه الرواية إن جاز التعبير، منظومة شعرا.

1- الايقاع في المزدوجة:

المقصود بالإيقاع هو" النسبة في الكميات والتناسب في الكيفيات والنظام والمعاودة الدورية"[1] كما يعرفه محمد العياشي ويتكون من عناصر أساسية لا يمكن الاستغناء عنها وهي: البحر، القافية، الروي، التوازنات الصوتية، التدوير. هذا بإيجاز عن ما يتعلق بالإيقاع ومفهومه*

لذا نقول: "إن اختيار الشاعر لأغلب العناصر اللغوية بغية إيصالها إلى الملتقى, ما هي إلا مكونات انسجمت مع إيقاع عواطفه, مع الأخذ بعين الاعتبار, شكل القصيدة ومضمونها اللذان يمثلان عملية التأثير التي تؤدى بأسلوب غير مباشر وظيفة فهم الألفاظ ومدها بمعاني غاية في الرقة والإحساس, التي تمنحنا ما لا يحصى من المدلولات, أي أن الإيقاع له أثر واضح بين الألفاظ ومعانيها"[2]

من خلال هذا الحديث, نفهم بأن شكل القصيدة ومضمونها يساهمان في إيصال الخطاب ومده بمعاني في غاية الرقة والإحساس."كما أنه يبقى مجهولا للذات الكاتبة لأنها ليست متحكمة فيه"[3] لأن الشاعر لا يكتب بإرادته فهو ينقاد للكتابة الشعرية.

من النقاد من يرى بأن الإيقاع في القصيدة مستويين:

[1] محمد العياشي. نظرية إيقاع الشعر العربي. ط1976 المطبعة العصرية تونس. ص42

* للإفادة يراجع كتاب الدكتور عبد الرحمان تبرماسين في البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر . دار الفجر القاهرة 2003ص86

[2] – بالتصرف (ممدوح عبد الرحمان,المؤثرات الايقاعية في لغة الشعر,دار المعرفة الجامعية,الاسكندرية د.ط.1994 .ص11

[3]-محمد بنيس,الشعر العربي الحديث بنياته وابدلاتها,دار تويقال للنشر عمارة معهد التسير التطبيقي,بالغدير الدار البيضاء,05 .المغرب.ج3 .ط1 1990.ص105 .

1– مستوى خارجي الذي تمثله الحركة الصوتية, ويدخل ضمنه كل ما يوفر الجانب الصوتي من وزن وتكرار, ومحسنات بديعية [4] .

2– أما الإيقاع الداخلي هو الذي يتسلط علي الصياغة الداخلية لسطح النص الشعري خصوصا(...) فيتخذ مظاهر إيقاعية تتلاءم فيما بينها داخليا"[5] وهذا التلاؤم الداخلي للمظاهر الإيقاعية, ينسجم مع الإيقاع الخارجي وبالتالي يحقق بناء القصيدة أو هيكلها, لأن أي عمل فني يحمل خصائص شكله. أما نحن فننظر إلى الإيقاع على أنه وحدة واحدة، كل عنصر منه يكمل الآخر وليس في غنى عنه.

يتميز شكل القصيدة*, التي نحن بصد دراستها, بميزات تختلف عن الكثير من القصائد العمودية سواء في البنية المعمارية أو في نوع القافية وتنوعها وهذا ما يدل على اهتمام الشعراء بها ونوعوا فيها, فأتوا بأشكال جديدة للقصيدة من بينها المزدوجة.

فالمزدوجة تتميز بالقافية الموحدة لكل بيتين مع مراعاة التصريع في البيتين, فقافية الشطر الأول هي نفس قافية الشطر الثاني. وهذا النوع من النظم, يجعلنا نحس بمتعة ولذة وحسن ترجيع موسيقي[6] أي أن المزدوجة عبارة عن بيتين ينتهيان بنفس القافية, والتي تختلف عن قافية البيتين المواليين لهما.

ومن ثمة فالمزدوجة أو المزدوج أليق بنظم القصص الطويلة كما في "مزدوجة المقري" التي نحن بصدد دراستها والتي تمثل قصة لتوفرها,علي جميع عناصر السرد من شخصيات، ومكان, وزمان, وعقدة...الخ.

---

[4] –عن .د.خالد سليمان (الايقاع الداخلي في القصيدة العربية المعاصرة) .م.آداب ع4. 1418 ه =1997 جامعة قسنطينة .ص.256.

[5] – بالتصرف .عبد الملك مرناض دراسة سيمائية تفكيكية لقصيدة أين ليلايا محمد العيد,ديوان المطبوعات الجامعية ,الساحة المركزية بن عكنون الجزائر ص 147 .

* عدد أبياتها 450 بيت

[6] – بالتصرف.د.إبرهيم أنيس,موسيقى الشعر,ط3 .دار القلم .بيروت. 1994 ص 281 .

وهذه المزدوجة قصيدة قديمة تحمل معاني الجدة و الحداثة, أي الخروج عن ما سبقها من أشكال القصيدة العربية, إضافة لهذا فهي مناسبة لنظم الحكم والأمثال, من البداية إلى النهاية.

ومن هنا فالمزدوج شكل من أشكال القصيدة التي توفرت فيها العديد من الخصائص الفنية, وهكذا فمزدوجة المقرى, عبارة عن بيتين متماثلين من حيث القافية ثم يضاف إليهما مسمط وتتناسل هذه الأبيات والمسمطات لتكون سلسلة معمارية قائمة على التضافر شارتها القافية المنوعة من البداية الى النهاية مثال:

أَحمَدُ مَنْ قَدْ أَطْلَعَ الجَمالاَ   بَدْراً علي عَرشِ البَهَا تَعالىَ
وَزَانَ مِنْ عُذَارِه الكَمَالاَ   بهالةً ماَ أَن تَــرى زَوَالاَ
أَحمْدُهُ وَهُوَ وَلِيُ الحَمْدِ[7]

فمزدوجة المقري كما بينا آنفا,عبارة عن بيتين يحملان قافية واحدة, ثم يضاف إليهما مسمط, والمسمط هو أن يبتدئ الشاعر ببيت مصرع ثم يأتي بأربعة أقسمة علي غير قافيته , ثم يعيد قسما واحدا من جنسين ما ابتدأ به, وهكذا لآخر القصيدة [8]

1- الإيقاع الخارجي في المزدوجة:

أ-البحر:والبحر الذي بنيت عليه مزدوجة المقري هو الرجز الذي ستعمله النحاة, والفقهاء في نظم قواعد اللغوية وغيرها, فله منزلة كبيرة, وهذا ما عبر عنه أبو العلاء, في رسالة الغفران بأن جعال أبيات الرجاز دون أبيات الجنة سموقا[9] وهذا ما يدل علي جمال وطلاوة بحر الرجز, وجاء في قول الشاعر:

---

[7] المزدوجة ص 1

[8] – ابن رشيق القيرواني,العمدة,دار الجيل بيروت,ج1 ,ط5 ,سنة 1401 ه .1981 .ص . 179

[9] – د. محمد العمري.(الموازنات الصوتية) في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية (نحو كتابة تاريخ جديد البلاغة والشعر), افريقا الشرق بيروت.لبنان.2001 .د.ط.ص . 239

ثُمَ صَلاَةُ اللَهِ مَا تأَرّجَا أقَاحِ زَهْرٍ واَضِحٍ وَفلِجَا
وَمَا حَكَى فَرِقٌ مَا تَبَلجَا طُرّةَ صُبْحٍ تحَتَ أَذَيّالِ الدُّجَا
عَلى حَبِيبِ اللَهِ مِنْ مَعَدٍّ [10]

وقوله أيضا :

وَذَا الذَي رَاقَ وَرَق رِيَق أَمْ عَصَرْتَ مِنْ لَؤْلَؤٍ رَحِيَق
وَلَيْسَ لَي لَر شَقِهِ طَرِيق وَكَمْ لَهُ فَي مُهْجَتِي حَرِيق
وَرُؤيَةِ العَذْبُ الزَلاَلُ تَصَدِّي[11]

وفي قوله أيضا:

وَبُحْتُ ظَنًا أَنَ ضَيقَ صَدْرِي يُفْرِجُ وَ يَطْفِئ لهَيبُ الحَرِّ
وَغَرَّنَي قَوْلُ مُحِبٍ عُذْرِي لا خَيّرَ فَي اللَذَاتِ خَلْفَ السِّتْرِ
فَلَمْ يَكُنْ عَن شَغُفِ مِنْ بُدِّ[12]

ومن المهم جدا أن يكون البناء العروضي متماشيا مع الإيقاع النفسي الذي تشكله طبيعة التجربة الشعرية ذاتها، ومن الطبيعي أن يختلف الإيقاع النفسي من شاعر لآخر كما يختلف عند الشاعر الواحد تبعا لاختلاف تجاربه وتنوعها، وفقا لكل هذا يصبح لكل قصيدة عالمها الخاص الذي تنفرد به عن غيرها من القصائد.[13]

استطاع المقري أن يخلق انسجاما تاما بين الوزن وعناصر التجربة الشعرية التي اعتمدت على تقنيات السرد(الزمن، الحوار، والشخوص، المكان والفضاء) ويواصل الحكي في قالب شعري منسجم في تفاعيله منساب في ألفاظه وأفكاره مستوعب للمواقف المعبر عنها بشكل إيقاعي موافق لنسيج القصة التي أراد تبليغها بالقول الموزون وأبرز الصراعات التي عاناها البطل أثناء التجربة المحزنة والألم أيضا وهذا كله يتم عن تجربة فنية كبيرة، وإن

[10] المزدوجة 1

[11] المزدوجة ص8

[12] المزدوجة ص1

[13] –ينظر د.حسن الغرفي، حركية الشعر العربي المعاصر، افريقيا الشرق، بيروت– لبنان –س2001 –ص25

ما ورد من أفكار ممزوجة بالحب والألم وأحداث مختلفة استطاع الشاعر تجسيدها في ترابط منطقي وهدوء عاطفي ورصانة عقل راجح لشخصية الإنسان المرهف الحس، الذي ملك من الخبرات والتجارب الإنسانية الكم الكفيل الذي منحه هذه القدرة في التعبير بواسطة الفن الشعري.

إن مزدوجة المقري، تلخص تجربة إنسانية، إزاء الحياة وما تحتويها من مواقف إنسانية متباينة، فهي تحكي رغبة المرأة في العودة إلى عشيقها بعد أن كانت لها معه مغامرات تدل على رغبة الذات في معرفة حقيقة وجودها، وبعد كم هائل من الصراعات يمتنع الرجل عن العودة ، فيتدخل القاضي للفصل بينهما بإصداره لقراره النهائي وهو لمٌّ شملهما.

وما نخلص له هو أن البحر العروضي هو الخاصية الأساسية التي بنيت عنه القصيدة، وعليه ارتكز إيقاع "القصيدة القصة" الذي قام على التلوين والتنويع وأدى وظيفة جمالية إبلاغية.

أما الزحاف الذي تردد تكراره في المزدوجة، فهو الخبن، والذي يعمل على تقليص الزمن داخل بنية البحر الكلية، إذ تبدو الأبيات التي دخلها، أكثر سرعة من الأخرى التى لم يدخلها ولعل هذا ما أشار إليه الدكتور "محسن أطيمش" في "دير الملاك" من أن الزحاف الجائز عروضيا، يعمل على اختصار الزمن، وربما له علاقة بالانفعالات والمواقف التي يظهر أثرها في الزحاف أكثر من العلل[14]، أي للزحاف صلة بالتجربة الإنسانية في مختلف مراحلها، فيقوم بتسريع الحدث أو بتبطيئه وجاء في قوله:

كَمْ مِثّْلَهَا مَخَضَبُ البِنَانْ لمَا نَأَى بِقَصْدِ الإمْتَحانْ[15]

فجرى الزحاف في (مخضب).

كما أن حروف المد لا تتناسب مع الزحاف، فإذا زاد الزحاف قلت حروف المد، وهذا ما تفوضه التجربة الشعرية، باعتبار أن حروف المد

[14] بالتصرف: د.حسن الغرفي: حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر – ص123

[15] المزدوجة ص13

مرتبطة أيضا بالموقف الشعوري والحالة النفسية[16]، فكل من الزحاف والعلة قد لعبا دورا بارزا في المزدوجة فتعامل الشاعر مع حروف المد تعاملا يتلاءم مع تجربته الشعورية، فمن المعروف أن كثرة حروف المد تكسب القصيدة نوعا من البطء وقلتها تكسبها السرعة والحركة وهي موجودة في المزدوجة لأنها معظم تجارب شخصيات القصة تتأرجح بين ثنائية: اليأس والأمل، الموت والحياة، الحزن والفرح مثل قوله:

كَذَاكَ مَنْ زَانَ الجَمَالَ خُلُقَه   وَأَوْدَعَ اللَهُ الكَمَالَ خُلُقَهُ
وَأَحَوْجَ مِنَهُ وَإِلِيْهِ خَلْقَهُ   بَلْ رُبَمَا يُضَيَعُونَ حَقَهُ[17]

فأحرف المد تكررت في هذا المقطع، فنجدها في (زان، الكمال، الجمال، يضيعون) ويدل تكرارها في المزدوجة على كثرة الأداء القصصي باعتبار أن الشاعر عبر عن تجربة حياته بالشعر، ومن ثم فحروف المد تفتح الأداء القصصي على حدود الحكاية لتنوع المواقف في المزدوجة.

إن حروف المد تستوعب الوصف الخارجي ومتابعة الحدث ولذلك تعتبر المزدوجة جزءا من ذكريات امرأة عاشقة، كما أنها تتحدث عن شخصيات ذات حالة نفسية ممتدة امتدادا واقعيا عبر الزمن فيطغى أسلوب الرتابة والركاكة مما يضطر الشاعر أخذ دور الراوية من أجل التنويع في الأسلوب.

وخلاصة هذا أن للزحاف دور هام جدا، لأنه يرتبط بالحالة النفسية للشاعر، فالزحاف عمل على تسريع الأحداث ربما أراد الشاعر بها ذلك. ومن هنا تمكن الزحاف بنوعيه (الخبن، الطي) من نقل الحالة النفسية التي يصفها الشاعر.

و نستنتج أيضا ثنائية تضادية استخدمها الشاعر وهي الزحاف، وحروف المد، التي قامت على التضاد بين السرعة والبطىء.

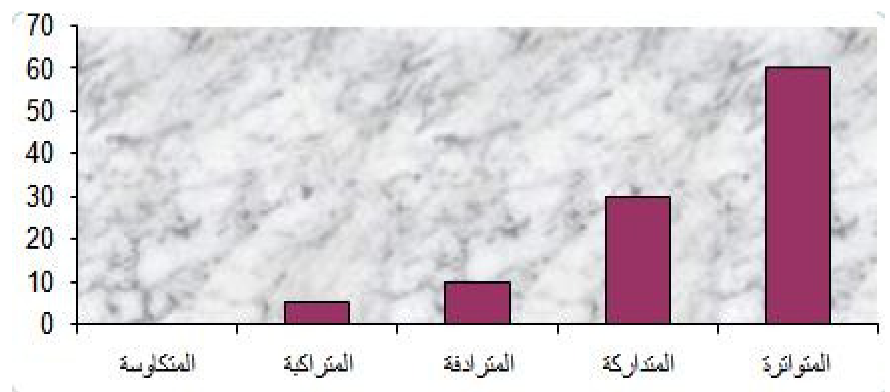
---

[16] بالتصرف: عبد الملك مرتاض–دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أبق ليلا يا" لمحمد العيد ص163.

[17] المزدوجة ص17

ب- القافية في المزدوجة: تنوعت بين متواترة ومتراكبة، ومتداركة، وغابت المتكاوسة بالرغم من اختصاصها ببحر.

ج- والمنحني البياني الموالي يمثل نسبة تواتر القوافي في المزدوجة:



ومن خلال الرسم السابق نرى أن القوافي ترد من أدنى قيمة للقافية المتكاوسة التي جاءت نسبتها 0% ثم تليها المتراكبة بنسبة 5% وهي نسبة ضعيفة جدا، وأيضا القافية المترادفة التي وردت بنسبة 10% وهي أقل ضعفا من سابقتها، و المتداركة ترددت بنسبة 30% أما المتواترة فبنسبة‍ــ60% وهي أعلى نسبة في المزدوجة.

وهذا مايؤكده الجدول الإحصائي الآتي لتواتر القوافي في المزدوجة:

ألقاب القوافي	شكلها	عدد توتاترها في المزدوجة
1-المترادفة	/ ه ه متحرك ويليه ساكنين	66 مرة
2-المتواترة	/ه/ه متحرك واحد بين ساكنين	210 مرة انتهت بمقطع طويل
3-المتداركة	/ه//ه متحركين بين ساكنين	148 مرة انتهت بمقطع طويل
4-المتراكبة	/ه///ه ثلاث متحركات بين ساكنين	28 مرة انتهت بمقطع طويل
5-المتكاوسة	/ه////ه أربع متحركات بينها ساكنين	لا توجد

في الجدول السابق نرى أن القوافي قد تنوعت وتعددت و تكررت فيها أغلب الحروف. وهذا التنوع في القافية، يدلنا على رغبة الشاعر دوما في التجديد وتغيير الأصوات التي تعكس صورة الصراع القائم في القصيدة القصة وتنوع الدلالات ، كما أن طبيعة الموقف اقتضى التنويع في القافية. لتجسيد الحوار والمعاني ومختلف المواقف الدرامية، والرسم الموالي يدعم رأينا في أن القوافي بتنوعها واءمت الموقف المعبر عنه:

أ
أ
ب
ب
ج
ج
أ
أ

إن الكلمات التي تشكل القوافي تمتاز بالطابع البلاغي فهي عبارة عن جناس غير تام في بعض أجزاء المزدوجة الشيء الذي يمنح القصيدة قوتفي التوازن الصوتي ويجعل الإيقاع أكثر تناسب وتساويا في الكميات مثل قول الشاعر:

إِنَ مَسْكَ العِشْقِ بِحَالِ مُفْزِعَه   تَثَبَّتِي وَلَا تَكُونِي اِمّعَـــــه
وَحَاذِرِي تَرىَ لخُطَبِ جَزَعَه   فحَيثُ كَانَ العُسْرُ كَاَن اليُسْرُ مَعَه[18]

إضافة إلى تنوع القافية بتنوع الموقف المعبر عنه, نلاحظنا هذا التكرار في التوازي القائم في نهاية الكلمة مما أحال التشابه في الفونيمات مع وجود سمة متميزة ظاهرة علي مستوى النص المكتوب أي بالبصر ندرك الجناس الحاصل بين (معه,امعه) (جزعه,مفزعه) فهذه الأنواع غير تامة من الجناس.

أما المستوى الشفهي فقد نقع في بعض اللبس لأننا لا ندرك الاختلاف الموجود في الحروف أو المعنى مثلا بين (معه, إمَّعه) إلا إذا نطقنا بها.

[18] المزدوجة ص4

وما تنوع القافية إلا دليل علي أن الموقف الشعوري متغير بتغير الزمن, ومتجدد بتجدد المكان ورافض للإستمرار الرتيب والثبات الدائم, وما هو إلا نتيجة لتراسل الحواس وتنوعها, إذ شكل هذا التراسل إيقاعا يهدف إلى تجسيد الأثر النفسي الذي يساهم في توحيد التجربة.

ومن هنا فالشاعر لم يلتزم القافية الموحدة عندما صاغ نظام المزدوجة بحيث تختلف القوافي تبعا لما يقتضيه الموقف الشعوري الذي يعطي ما لا يحصى من التجاسيد الجمالية الجمالية والدلالات,بل تفتح له عوالم ذات آفاق بلا حدود [19] كما حقق ما يسمى تماثلا صوتيا الذي رصدته الأذن من خلال حرف الروي، وتماثلا مقطعيا اقتضى الحفاظ على القوافي. وأيضا طول القصيدة القائم على الحوار والسرد ا قد لا يسمح للشاعر التحكم في قافية واحدة، فلجأ إلى التنوع ليحدث نوعا من التلوين الصوتي الذي يراعي ما يمكن أن يناسب أحداث القصة ويبعث على المتعة الصوتية كما تحدث الأحداث المتعة واللذة في لب لمتلقي, وهذا كله لإصدار نوع من الجاذبية تجعل الملتقي يقبل علي النص لما فيه من إيقاعات متعددة التلوين في النغم وفي القص أيضا.

ونرى في هذا التنوع من القوافي في المزدوجة دلالة عميقة, حيث عمدت إلى استنطاق النص الشعري الذي أملى علينا الدلالات المرتبطة بالحالة النفسية للشاعر, كما أن تكرار القوافي هو بمثابة الفواصل الموسيقية التي تطرق الأذن في فترات زمنية منتظمة. من هنا يصبح التكرار خاصية نصية مبثوثة في الأبيات مما يساعد علي بناء الايقاع الذي لا يخضع لقاعدة قبلية يمليها البحر, وهذا راجع إلي الذات الشاعرة التي تتبع غواية مجهولها ومساراته السرية,إلى التأمل والحس العميق الذي أدى إلى التكيف مع الإيقاع, و إنتاج ما يسمى بموسيقى الشعر,أو جرس الألفاظ.[20]

من خلال تواتر القوافي في المزدوجة, وتراوحها بين المتواترة والمتداركة, نستشف ازدواجية جديدة في تناوب القوافي, بين القافيتين:

---

[19] – د.عبد الملك مرتا ض,بنية الخطاب الشعري (دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يما نيه) .ديوان المطبوعات الجامعية,الساحة المركزية ,بن عكنون الجزائر ص 156 .

[20] – بالتصرف,محمد بنيس ,الشعر العربي الحديث, بنيا ته وإبدلاتها ,دار توبقال للنشر المغرب ج3,ط1 ,1990 ,ص 144 .

المتداركة والمتواترة رغم وجود التناوب في بعض الأبيات بينالقافيتين المتراكبة والمترادفة, وهذا التنوع في القوافي, يعد من مظاهر الحداثة التي ميزت المزدوج عن غيره من القصائد وباعتباره نمط شعري مستحدث.

ج- الروي في المزدوجة:

للقافية حروف وحركات تلتزم في بعض الحالات, ولا تلتزم في حالات أخرى, ولكن هناك حرفا يلزم في كل أنواع القوافي ويتمحور دائما حوله التكرار الصوتي.هذا الحرف هو الروى, وتعرف القصائد التراثية بنسبتها إلي الروي فيقال لامية العرب ودالية النابغة وميمية زهير[21].

وحركة الروي قد تكون ضمة, أو كسرة, أو فتحة, وقد اعتبرت هذه الحركات في الوزن الشعري بمثابة صائت قصير, ومن هنا يجيء حرف الروي في الشعر العربي متحركا أو ساكنا، وإلى سكونه وحركته تنتسب القافية كأن تكون مقيدة أو مطلقة، وقد توفر القيد والإطلاق معا في المزدوجة.

والروي في المزدوجة متنوع بين أحرف مهموسة أو مجهورة وهو من مظاهر الثراء الموسيقي عند الشاعر لأنه يشكل في شعره عنصرا جماليا في الكثير من السياقات يشكل وظيفة دلالية, متمثلة للرؤيا التي يفرزها النص الشعري[22] وهكذا يتخذ لكل بيتين قافية وروي واحد تبعا لما يقتضيه التدرج في الموقف الشعوري. وقد خضع الروي في كل بيتين لمبدأين متلازمين هما: التماثل الصوتي الذي اقتضي التدرج عبر حروف الروي, من الباء إلى الراء، إلى العين

ومبدأ التماثل المقطعي الذي اقتضى المحافظة على جنس القوافي (المتداركة,المتواترة) والتعبير في صيغة الروي الزمنية التي تتطلب السرعة في أبيات والتبطيء في أبيات أخرى أي أن الروي عند النطق به يستغرق زمنا قد يكون قصيرا أو طويلا لأن من القوافي ما هو مؤسس (بالألف) وموصول بالياء أوالألف أو الواو.

---

21 – إبرهيم أنيس,موسيقي الشعر,ص 273 .

22 – بالتصرف.د.حسن العزفي,حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر ص 27 .

إذن,فتنوع الروي في المزدوجة إما على أساس مقطعي أو بيتي ذلك أن التنويع يتم على مستوى الأبيات,إذ يشترك كل بيتين في قافية واحدة أو متماثلة وهذا البناء الفني الجمالي الذي يمنح المزدوجة دلالات جديدة ووظائف جمالية بفضل حروف الروي التي تعبر عن خشونة الصورة مثل القاف بقوله:

فَأَقْعَدَاهُ فَي مَقَامِ الصِدْقِ وَفَاوَضَاهُ فَي أَمُورِ العِشّقِ
وَوَفَيَــاهُ حَقــّهُ بِحَــقِ فَأَلْفَــــيَاهُ آيَةً فَي الَحِذْقِ[23]

و جاءت أصوات اللين مقترنة بالقوافي المطلقة, كأنه يريد أن يؤكدها, أو قل تخرج عن دائرة الأصوات القصيرة بتطويلها أي أن أصوات اللين أضفت ذلك الحس الجمالي والموسيقي على الروي.

وحرص الشاعر على تحقيق الزخم الموسيقي في المزدوجة نحو قوله:

كَمْ صِحْـــــتُ لَمَّا أَنْ نَأَى وَوَدَّعَا وَخَلّــفَ القَلْبَ كَئِيبًا مُوجِعَا
خَفْ مَا عَنْتَنِي مِنْ دَعْوَتَي أَنْ تَسْمَعَا نَاهِيكَ مِنْ قَلبٍ جَرِيحٍ إِنْ دَعَا [24]

ومن خلال هذين البيتين اللذين منحا وظيفة دلالية خالصة، بالإضافة للوظيفة الجمالية التي تبعث فينا ذلك الجرْس الموسيقي فالألف الممدودة تشبه الآه والزفرة، فالمرأة هنا تبوح بأوجاعها وآلامها, وهي تخاطبه بأن يخاف عقاب الله, وأنها مظلومة. ومن الألف الممدود أيضا يلاحظ الامتداد الصوتي المفتوح كما أن الناس حرصوا بواسطة الصوت الممدود المفتوح على إسماع الصوت, أي إسماع ما في القلب من همّ والبوح بما في النفس من ألم وتبليغه للمتلقي وجعله يشعر بوجود قضية ما, ومؤلمة.

وهنا تجاوز الإيقاع الوظيفة الجمالية الخالصة إلى وظيفة أخرى أعمق دورا, وأبعد مدى وهي الوظيفة الدلالية التي تجعل الإيقاع مجرد وسيلة لا غاية شعرية باردة فارغة.[25]

---

[23] المزدوجة ص3

[24] المزدوجة ص5

[25] – د.عبد الملك مرتا ض,دراسة سيميا ئية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي " لمحمد العيد ص 158

ومن حروف الروي التي سادت المزدوجة وطغت عليها الحرف الانفجاري "ب" الذي تكرر ب58 مرة, مما يبرز طبيعة الصراع القائم في النص إذا نظرنا إلى الأصوات الانفجارية أنها ذات طبيعة متوترة, إذ أن موضوع المزدوجة فرض ذلك, فنجد سرد المرأة لحكايتها, وهي في حالة قلق لما استجوبها القاضي ,فيصف الشاعر حالها قائلا:

فَانْدَفَعَتْ تَقُــولَ إِنَّ الَحُبَّا   أَيُــهَا الَقَاضِي يَذِيبُ القَــلْبَا

وَمُدْهِشٌ كَمَا عَلِمْتَ اَللُّبَّا   فَاسْمَعْ ولا تَجْعَلْ جَوَابِي اَلعَتْبَا[26]

وفي هذين البيتين صدر صوت الباء بعد الاحتباس ثم انفجر وبانفجاره قد عبرت هذه "الباء" عن ما في نفس المرأة وعن ما تكتم من همّ أرادت البوح به, فوجدت الفرصة عندما استجوبها القاضي, ومن هنا حدث الإنفجار والبوح. لكي تبين بقوة أنها ليست ظالمة وإنما جاءت لرفع الظلم عنها، و طبيعة الموقف هي التي فرضت صوت "الباء" فالسكوت في البداية هواستدعى الإنفجار والبوح فيما بعد.

ومن الأصوات المجهورة التي تكررت في روي المزدوجة، حرف الراء الذي تكرر 70مرة وهو حرف تكراري ما دخل في كلمة إلا وأكسبها سمة المعاودة والاستمرار، مثلماجاء في قوله:

وَاَتَّصلَ الإِمَسَاء بالإِسْفَارِ   وَبَاتَ كُلُ عَارِيًا عَنْ عَارِ

وكَانَ ذَاكَ اَللَيلُ بِاَخْتَصَارِ   كَغُرَّة فَي جَبْهَةِ الأَقْمَارِ[27]

وحرف الروي "الراء" تردد لأجل صنع لوحة مشحونة من العنف والحب والنار، ولتحاكي سرعة لفظه سرعة انقضاء ليل العاشقين وقصره.

ومن حروف الروي المهموسة التي وردت، الحاء: الذي تكرر بــ16 والذي من صفاته الهمس والرخاوة وجاء في قوله:

لَوُ لَمْ يَكَنْ تُقْبَحُ بَالتصَرِيح   إِلا اِتِهَامُ اَلخِلُ وَاَلنَصِيح

إِذَ الجَمِيع قَولهُم كَالرِيح وَنِسْبَةُ القَبِيحِ لِلصلِيح[28]

[26] المزدوجة ص4

[27] المزدوجة ص5

[28] المزدوجة ص14

والحاء تردد أيضا ليدل على التكتم وعدم التعريض ونظرا لطبيعة الموقف الذي وضع فيه العاشقين لا بد أن يحمل حبهما كل معاني التكتم والسرية.

وبالتالي فالروي، تكرر في المزدوجة متنوعا بين أحرف أو أصوات مجهورة ومهموسة، وكانت الغلبة للجهر.

وفي الأخير فالرويهو حرف تتميز به القصيدة فنقول مثل: سينية البحتري، ولامية الشنفري...الخ، لكن الروي في المزدوجة لم يتكرر في أبياتها بل جاء مختلفا حيث ورد كل بيتين بنفس الروي يختلف عن روي البيتين المواليين لهما. وتنوع الروي يحيلنا إلى أن الشاعر "المقري" ذو موهبة وخبرة كفيلتان بالرسو على سواحل نغمية دون عناء الصورة[29]، كما أن أسفار الشاعر الكثيرة واختلاطه بشعوب أخرى من غير العرب ورغبته في ذيوع شعره، كل ذلك جعل نغماته الشعرية أليفة تمنح المتلقي الشيء الذي لم يمنحه له معاني المفردات[30].

وحروف الروي هجائية تنوعت بين كثرة الشيوع* ومتوسطة الشيوع*، وقليلة الشيوع*، ونادرة الشيوع* مثل:

2–الجانب الصوتي في المزدوجة

أ–الأصوات المجهورة و المهموسة في المزدوجة على مستوى القوافي.

–الأصوات المجهورة في المزدوجة على مستوى القوافي.

الصوت	تواتره في المزدوجة	هذا الجدول بين لنا تواتر الأصوات
ب	58	المجهورة في المزدوجة و عدد

[29] د.عبد الإله الصائغ، الصورة الفنية معيارا نقديا–دار القائدي للنشر والطبع (د.ط).(د.ت) ص322.

[30] المرجع نفسه ص323

* كثيرة الشيوع (الراء، اللام، الميم، النون،الياء، الدال، السين، العين)

* **متوسطة الشيوع (القاف، الكاف، الهمزة، الحاء، الفاء، الميم)**

* **قليلة الشيوع (الضاء، الهاء، التاء)**

* نادرة **الشيوع (الشين، الظاء)**

ج	4	تواترها و قد تكون 262 وهي أعلى قيمة و أكثر الأصوات ورودا فتكون الراء 70 مرة,و الباء 58 مرة, ثم اللام 38 ويليه النون 34 مرة ثم الميم 26 مرة , العين 10 مرات, ثم الضاد مرتين.
د	20	
ذ		
ر	70	
ز		
ض	2	
ظ		
ع	10	
غ		
ل	38	
م	26	
ن	34	
المجموع	262	

-الأصوات المهموسة في المزدوجة من حيث القوافي :

الصوت	تواتره في المزدوجة	
ث	20	يمثل الجدول تواتر الأصوات المهموسة في المزدوجة وبطبيعة الحال على مستوى القوافي,فوردت الأصوات المهموسة 187مرة و أكثرها ورودا الهاء 81 مرة, ثم القاف 24 مرة ثم الفاء والحاء 16 مرة ثم الكاف 14 مرة والسين 12 مرة و الشين أربع مرات
ح	16	
خ		
س	12	
ش	4	
ص		
ط		
ف	16	
ق	24	
ك	14	
ه	81	
ث		

المجموع	187	

ومن خلال الجدولين السابقين يتبين لنا أن نسبة الأصوات المجهورة هي الأكثر ورودا مما كون لنا جناسا حرفيا كما سماه جون كوهين ذو نظام توسيعي للقافية و كما يبدو يسبب اختلاف بين المنثور والمنظوم [31]

و ما يبرر استعمال هذه الأصوات بكثرة في المزدوجة هو طبيعة الموقف الذي وضعت فيه المرأة العاشقة و ذلك للرد والدفاع عن نفسها, وعن شخصيتها فالنص عبارة عن مقابلة أو صراع بين اثنين كل واحد يريد أن يبث أفكاره و يجسد موقفه على حساب الآخر، وأن يكون الحق بجانبه.

والحرف الانفجاري هنا عبارة عن شحنة تزيد من دلالة الغضب والرفض والتمرد أي دلالة على غضب المرأة لنفور الرجل منها والذي مناها بحبه, و في الأخير تركها وحيدة تصارع وجه الحياة المستعسر بمفردها, وتدل على التمرد, والرفض, رفض العاشق البقاء معها و التخفيف عنها, هذا ما يوحي به نص المزدوجة وغيابه عنها ليمتحنها فقط , أي لكي يختبر مدى صبرها وحبها له.

وليستمع القارئ إلى هذه العاشقة من خلال هذا الصوت الجهور "ب" الذي صرعت به الأبيات الآتية:

يَا طَالَمَا أَمَـلَتُ الإقْـتِـرَابَا   كَيْ أَوَدُّ عَنْ سَمْعِهِ العِتَابَا
وَأَشْتَكي الأَشْجَانَ وَالأَوْصَابَا   حَتَى التَقِينَا لَمْ أَجِدْ جَوَابَا[32]

هذا مناسب لطبيعة الموقف الذي وضعت فيه المرأة، فهي تريد البوح بأنها ليست ظالمة، وأنها لا تقبل أي لوم عما فعلت، كما أنها جد حزينة ومتألمة لما جرى لها.

إن صوت الباء الذي ورد مفتوحا أدى دلالة عميقة وهي تفجير الإحساس بالشوق والحنين للحبيب، كما استدعى إلحاح المرأة للرجوع إليه

---

[31] بالتصرف:د،حسن الغرفي ،حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر ،ص152.
[32] المزدوجة ص 9

والبقاء معه، وورود الباء ممدودة يمثل حالة الألم التي تعيشها المرأة، وهي الغربة والوحدة والحنين إلى من تحب ومن ثم جسدت "الباء" الممدودة طبيعة الموقف الشعوري في المزدوجة تجسيدا تاما.

ولم يكن القاف أقل شأنا من الباء في استغلاله فضاء الروي قول الشاعر:

لَمْ أَزَلْ فَيْ حُبِ ذَا المقَرَطِقِ   مَنْ فَي هَوَاهُ هَامَ مَنْ لَمْ يَعْشَقَ
لا حُسَنَهُ يَفْنَى وَلا صَبْرِي بَقَي منْخَفِضَا طُورًا وَطُورًا أَرَتْقي[33]

إن انفجار المرأة على واقعها، لعدم احتمالها أكثر من هذا، هو السبيل الوحيد للتخفيف عن مكبوتاتها. وليس يخفى على أحد أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي وأن هذا الانتقال بين المقاطع الطويلة والقصيرة بطبيعته، إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب النفس من أصولها[34]، فتغير نفسية المرأة أدى إلى تغير الصوت وتنوعه.

أَو قَالَ أَنَ الريقَ كالرَحيقْ   أَو شَبَّهَ الوَجَنَاتَ بالشَقِيقْ
وَالثَغرَ بَاللؤْلؤِ فَي العَقيقْ   أَو بارِقِ يَلْمَعُ فَي البَرِيقْ[35]

وفي القاف قوة وإصرار على الشيء كقولها أنها لن تتوقف عن حب الفتى، وأنه لا يوجد من رآى هذا الوسيم ولم يعشقه.

والعشق هو أعلى درجة الحب ودلالة على القوة والانجذاب، أي انجذاب المرأة نحو الفتى و صوت القاف أوحى بالطاقة التي أثارها الرجل في المرأة عندما هجرها، لذلك فهي لم تحتمل أبدا هذا الفراق، ولم تستطع كتم الألم الكبير الذي سببه لها وبالتالي فالقاف هنا تشكل لمظهر التفاعل النفسي كما تشكل تنوع الأصوات في المزدوجة من مد و غنة و لين و شدة، ومما تعكسه الحركات المختلفة من أسرار لنفس هذه المرأة وغيرها من شخصيات القصة، وما يخترقها من تمرد وعنفوان وغضب الذي شعت لإبرازه هذه

---

[33] المزدوجة ص 5

[34] مزاري زينب، المناظرة في القرآن الكريم (بحث في الأساليب)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، ج الأمير عبد القادر قسنطينة، 1999/2000 ص162

[35] المزدوجة ص14

العاشقة الولهانة، فرسالتها وصلت عن طريق الأصوات حيث قامت بإشعار المتلقي وإحساسه بمدى الألم الحاصل، وذلك عبر ما احتوته هذه الأصوات من حركات مدّ ولين أو شدة، فالقارئ هو المكتشف لدلالات الأصوات أولا وأخيرا.

إن حرف الراء لا يكتفي بحركة واحدة واثقة وإنما في حاجة إلى المعاودة المستمرة حتى يتأكد من فعله وكان الباعث على ترداد هذا حرف في البيت عامل لا يتصل بالمعنى الذي ابتغاه الشاعر أصالة، وإنما هو للسر الذي يأتيه من ناحية أخرى وقد نعلمها ولكن ليست حاضرة في فكره أثناء العملية الإبداعية، والراء في اللغات القديمة بمعنى الرأس، والذي قال عنه الخليل بن أحمد الفراهيدي "أنه الرجل الضعيف وأنه زبد البحر"[36].

ويتكون صوت الراء بتتابع طرقات اللسان على اللثة تتابعا سريعا ومن هنا كانت تسمية هذا الصوت بالمكرر وهذه الطرقات لا تحدثها حركة عقلية واعية من طرق اللسان فالذي يحدثه الوتران الصوتيان تلك النغمة عند نطق الراء ،ولعل تتابع الراء في المزدوجة سبعين مرة (طبعا على مستوى القوافي) ما هو إلا دليل على التكرار واستمرارية الترديد ونجده في قول الشاعر:

لَلْحَسْنِ سُلطَانٌ شَدِيدُ القَهر كُلُ المِلاحُ مَعهُ تحَتْ الحَجَر
يُجْبِرُهَمْ عَلىْ الجَفَا وَالجُــورِ ولَيَس يَبقَى رَحَمْةُ فَي الصَّدر[37]

فنجد الراء تكررت في (القمر، الحجر، الجور، الصدر) فالقهر هنا مستمر ومتواصل، والمعاناة أيضا مستمرة، والقاضي لم يتوصل إلى حل بعد، لإنهاء المأساة، و المرأة لاتزال تعاني ألم حبها الذي فارقها وأنها ما دامت تعشقه وتحبه لحسن جماله فلا مفر أبدا من القهر والحرمان والعذاب فهي تستمر في معاناتها بسبب هذا الحب. ومالراء إلا دليل على إستمرار الظلم والجور في قوله:

---

[36] د.حبيب مونسي: القصيدة المتوحشة لنزار قباني، سيمياء المعمار الشعري، الملتقى الوطني الأول للسيمياء 2000–2001 جامعة محمد خيضر بسكرة 213.

[37] المزدوجة ص15

مُلَخَصُ الدَعوَى مَلِيحُ وَهَجَر وَمَالِكُ نَهْيِ يَمُلْكٍ وَأُمْــر
وَالقَلبُ فِيكَ قَالَ كَلا لا وزْر وَليس لِي إلا إليْهِ المسْتَقَر[38]

من صور تكرار الراء في المزدوجة وروده مردوفا بصوت المد الوارد في يجور مغرور، مثل قول الشاعر:

إِنَّ المُحِبَ ذَنْبُهُ مَغْفُــورَدَعَهُ يَحْيَى بَالعَدلِ أَو يَجُور
فَهَو بِكُلِ حَالة مَعْذُور لأنَهُ بِحُسْــنِهِ مَغْــرُور[39]

وأيضا ورود حرف الراء مسبوقا بألف المد وهو الردف في القافية كقوله:

لَوُ كَانَ حُبي فَيكَ بإخْتِيارِي مَنعتُ نَفْسي مِنْ دَخُول النَارِ
وَصُنْتُ دَمْعًا سَحَّ كَالأمَطَارِ ولَمْ أَجْرِ عليْهِ وَهُوَ جَارِي[40]

فورود الراء مردوفا بألف المد له دلالة عميقة الموقف الحزين والشعور بالمرارة والألم,والقهر فهي مشاعر تخيم على جو القصيدة، وقوله:

مَنْ قَالَ أَولُ الهَوَى اختيار فَقُلْ كَذَبْتَ كُلُّهُ اضْطِرَار
وَليسَ بَعَدَ الاضطرار عَار دَلَّتَ عَلَى صِحَّةِ ذَا الأخْبَار[41]

أن الترادف الصوتي بين ألف المد والراء يغني القصيدة من الجانب الإيقاعي ويدعم التقطيع صوتيا كما هو الشأن في البيتين السابقين (اضطرار–أخبار)

إن هذه الأصوات المجهورة تكررت في المزدوجة 262 مرة وذلك على مستوى القوافي وكانت لها السيطرة التامة أكثر من غيرها,وهي تحتوي على قوة خفية فجرتها العاشقة ببوحها.

إن النص ذو طبيعة تصادمية صراعية، جسد طبيعية الصراع بين العاشقين أمام القاضي الذي فصل في مشكلتهما.

إن صوت اللام الذي تواتر 38 يدل معناه على الالتصاق بالمكان يعني أقام فيه ومكث به [42] وجاء في قول الشاعر:

---

[38] المزدوجة ص10

[39] المزدوجة ص11

[40] المزدوجة ص 16

[41] المزدوجة ص1–2

قَصِرْ فَدَتْكَ النَفْسُ فَي التطَويل وَجِدْ مِن الكَثِير بَالقَلِيل
فَمَا عَلَى المُحْسِنِ مِنْ سَبِيل حَقِير مَنْ تُحِبْ كَالَجلِيل[43]

ومن هنا فاللام دلت على الالتصاق وارتباط الكثير بالقليل لأنهما مرتبطان فالكثير هو عكس القليل وجاء أيضا في قوله:

لا تجَعَل الَجزَاء منْ جِنْسِ العَمَل أَليسَ الاَعترَافُ مَاحِ للزَلَل [44]

فاللام هنا دلت على الاعتراف بالخطأ والذنب والتوبة بالكف عن الخطأ هو بداية محو العيوب والأخطاء، أما الميم الذي تكرر 26 مرة فورد مفتوحا ومضمونا ومنوناً وساكنا أي ورد بكل الحالات، يقول الشاعر:

لأَنَ حُبَ الشَئ يُعْمي وَيَصُم وَيَوُقِعُ الانَسَانَ فِيمَا قَد يَصُمْ
فَكَمْ تَقَي فَي الغَرَامِ قَدْ أَثِم وَارْتكَبَ المَحْذُور لَمَّا أَنْ عَصِمْ[45]

فصوت الميم يدل على الجمع, ولا يخص شخصا معينا ينصحه، بل يجمع الكل, ولا يحدد فنلاحظ هنا الحكمة أو المثل وكما نعلم أن الحكمة ذات طابع إبلاغي قصد توصيل الفكرة إلى المستقرئ لأن المرأة هي التي باحت بهذه الحكمة وبدورها كعاشقة تعرف أكثر من أي إنسان أخر, أي أن طارق باب الغرام لابد عليه أن يضحي بأشياء عديدة وجراء ذلك يحدث الخطأ مهما حاول الانسان الابتعاد عنه وهنا نقول أن الميم ذات وظيفة إبلاغية أي أوصلت المعنى المقصود إلى القارئ أكثر منها جمالية.

في النون الألم والأنين وتكرر 34 مرة وجاء في قوله الشاعر:

جُهَدَ المُقِلِّ فَي الهَوَى حَمَلُ المِحَن وَالجُودُ بالَموَجُودِ رَوُح وَبدَنْ
يَا حبَذَا الغَالِي إذَا كَانَ حَسَـــن وَمَا لمَّا قَرَتْ بَهِ العَينُ ثَمَنْ[46]

---

[42] أمال منصور,هاجس الأرض من خلال تداعي في الحروف (في شتاء رتبا الطويل) نقلا عن دعباس حسن الحروف العربية ومعانيها "سورية "الملتقى الثاني للسيمياء والنص الأدبي جامعة محمد خيضر بسكرة 2001 /2002 ص 277 –278

[43] المزدوجة ص17

[44] المزدوجة ص7

[45] المزدوجة ص3

[46] المزدوجة ص 9

فالنون هنا عبرت بحرقة عن الحزن والألم,وكأن المرأة نادمة عن حبها لهذا الرجل, فهي تتمنى أن يكون من أحبته محبا لها مثل ما هي تحبه, فهي تبين للقاضي أنها أعطته كل الحنان والعطف ولم تبخل عنه ولم يكن ذلك بثمن، إلا أنه في النهاية جحد:

ضَمَمْتَهُ ضَمَ البَّخِيلِ مَالُهُ وَبَاتَ لِي كَالظَبِي فِي الحِبالَه [47]

إن الأصوات المجهورة ارتبطت بمواقف وأحاسيس شعورية, برزت من خلال الشكوى، التي ميزتها مجموعة من القيم التى عبّر الشاعر من خلالها عن ما يجول بداخله لتمثيل تجربة إنسانية وعكس قضية جوهرية يمكن أن تواجه أي فرد.

وطبيعة المزدوجة التي احتوت مثل هذا النمط من القيم والأمثال والحكم جاءت صيغتها شديدة اللهجة، قوية الصوت وهذا ما أدى إلى طغيان الأصوات المجهورة ذات الطابع الانفجاري، أما الصيغة الدينية التي تهيمن على النص فهي تعكس الواقع الحقيقي للشاعر، الواقع النفسي والاجتماعي والديني، وما فيه من قيم قائمة على الحكم والأمثال.

أما الأصوات المهموسة فيستعملها الشاعر وقت الهمس بين شخصين دون وجود ثالث بينهما بعكس ما هو موجود في المزدوجة، وجود طرف ثالث بين العاشقين وهو القاضي، هذا ما جعل الأصوات المجهورة هي البارزة بكثرة في المزدوجة لكننا لا ننسى العلاقة الموجودة بين الأصوات المهجورة والمهموسة حيث هي علاقة تكاملية أي أنه لا يمكن وجود أصوات مجهورة دون أن تكون هناك أصوات مهموسة؛ لأن في المزدوجة تذكر المرأة قصتها مع ذلك العاشق وما حدث بينهما من ود عاطفي وبعد ذلك الهجر تنفجر المرأة باللجوء إلى القاضي ليتدخل كشخصية ثالثة. إن الأصوات المهموسة الواردة على لسان المرأة تمثل طبيعتها ومعتقدها الذي يحثه على خفض الصوت باعتباره عورة.

إن الشاعر أراد أن يشخص هذه المعاناة ويعرف الأسباب وذلك بتوظيف شخصية القاضي الذي يجب أن يعرف كل شيء حتى التفاصيل

---

[47] المزدوجة ص5

الصغيرة، وهذا من أجل غاية أو هدف إبلاغي هو الردع والكف عن الخطأ ونشر الفضيلة والتوجيه الخلقي عن طريق القص والحكي الذي عمد إليهما الشاعر لأنهماهما السبيل إلى التربية، وخاصة في عصر الانحطاط الذي عاش فيه الشاعر، العصر الذي كثر فيه الفساد والجهل وعم أغلب المستويات، ويبدو أن هذه الأصوات قد أدت غرضها المطلوب.

أما الأصوات المهموسة*في المزدوجة فهي أيضا تتنوع بين الكثرة والقلة وهذا يدل على "أن النص مشحون بالمشاعر النفسية في أعماق الشعور وأبعاد اللاشعور أكثر من حمله لأي تأثير مباشر كما أن ملازمة الصوت المهموس للعمق تمنحه خاصية التأمل التي تكون في شبه هيمان فطري يعمل على انسياب دخائل الذات ومكوناتها في حذر لذيذ معلنا ما يخفيه عن الصوت والعقول والقلب، وتحمل هذه الأصوات في ثناياها القيم الدلالية وتعمل على انضوائها بين الكلمات المخبأة بين السطور والمقاطع وتحولها إلى تمفصلات وتداعيات لا شعورية أنيسة بوجدانيات واعية تقر إليها ثورة الشاعر وغليانه لنجد فيها بعض العزاء والسكينة"[48]

والأصوات المهموسة ترتبط في النص الشعري بالمواقف الشعورية على المستوى العاطفي الذي يوحي بمشاعر محددة تقترن بانفعالات المصاحبة لذات الشاعر الذي يكون صاحب التجربة أو شخصيات المزدوجة، ومن خلال إحصاء الأصوات المهموسة التي تكررت بـــ187 مرة وأكثرها الهاء، الذي تكرر بـــ81 مرة والذي يدل أيضا على التلاشي وذلك بقول الشاعر:

وَكُل مَن أَلْزمَــكَ المحَبَــَّه　　لنَفْسِــه مِن غَــير أَنْ تُحِبــَّه
فَقَدْ أَطَالَ عَنْ غمَّهْ وكَربَه　　وَاِخْتَار أَنْ يُولِي العَذَابَ قَلْبَه[49]

والهاء هنا تعبر عن نفس الشاعر وعمق تجربته وقدرته على التأمل والتقصي العميق لجوانب الحياة يدل على التكتم وعدم التعريض وذلك توافقا

* الأصوات المهموسة وهي الأصوات التي لا يهتز معها الوتران الصوتيان.

[48] ينظر د.حسن الغرفي: حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، ص37

[49] المزدوجة ص 13

أو تماشيا مع الموقف الذي وقعت فيه العاشقة، لأنها هنا هي الطالبة للوصال وبالتالي فقد داست على كرامتها ولم يعد يهمها شيء ورغم ذلك فإنها لم تستطع في هذا الموقف البوح بأنها مشتاقة له وأنها حنّت إليه وإن باحت فإن بوحها يكون ممزوجا بنوع من التحفظ مثل قولها:

وَأَخْشَى مَعْ ذَلِكَ اِنْفِصَالَه فَلَمْ أَزَلْ طَالَبةً وِصَالَه[50]

ولصوت الهاء أثر لم يكن إلا انعكاسا لحال شخصية المرأة التي كان الألم يمزقها، والشقاء يطعنها طعنا، "فصوت الهاء ليس مجرد صوت فقط وإنما له دلالة قوية على حال وعلى موقف وعلى مرحلة إنسانية معاشة وقد زاد هذا الصوت الهائي عمقا ما أشبع به من امتداد مفتوح فلأمر ما قالت العرب للصوت الصادر عن البكاء الخافت النحيب والنشيج ونحوهما، وبالتالي فالهاء دل على الإمتداد المفتوح الذي يخبرنا بحال نفسية معينة في النفس"[51]

واجتمع لصوت الهاء دلالتين الأولى تمثل الصوت بالقوة والعمق، والثانية تمثل الحزن والشقاء، فالهاء دلت على ضياع المرأة وحسرتها وبالتالي فالصوت المهموس يعبر عن كل ما له صلة بالعاطفة والوجدان وهو أيضا في المزدوجة على مستوى القوافي "التاء" التي تمثل عند "الخليل بن أحمد الفراهيدي" البقرة التي تحلب دائما واستشهد بقول المهلهل:

أَبَي فَرَاْسَ الهَيَجَاء فِيمَا كُلَ حَوُمَة وَيْدَكْ عَبَدُ تَحَلْبُ التَاء دَائمًا[52]

وحرف التاء الشديد المهموس يدل على الإصرار والعطاء والتجدد وجاء فى قول الشاعر:

فَخَل ذَا فَذِكْر شَيء فَاتَا مُكَدِرُ لحُسنِهِ الأوَقَاتَا
أَلَيسَ فَائِتُ قَدْ مَاتَـــا لَمْ يَحْيَ نُوحٌ نَائِحُ رُفَاتَا[53]

---

[50] المزدوجة ص5

[51] ينظر: عبد المالك مرتاض. دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلايا لمحمد العيد آل الخليفة ، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية –الجزائر (د.ط)(د.ت) ص162

[52] د.حبيب مونسي: سيمياء المعمار الشعري للقصيدة المتوحشة لنزار قباني –الملتقى الأول للسيمياء والنص الأدبي– ص214

إن الأصوات المهموسة هي التي مثلت الجانب الوجداني في المزدوجة,وهي التي صورت الصراع الداخلي في نفس كل واحد منهما, صراعه مع نفسه والقاضي كذلك قد شكل عنصرا إيجابيا في هذا المجال فلولاه لما علمنا القصة كاملة وهو أيضا شخصية بارزة في هذه القصة حيث أراد لم الشمل بين العاشقين وقد وفق في ذلك.

والشيء الملاحظ في المزدوجة هو أن الشاعر عمد إلى الإكثار من الحروف المهموسة والمجهورة بنسب متفاوتة, ودلالة هذا قد ينم على عناية الشاعر بتنغيم شعره من ناحية, أوقد يكون لهذه التكرارات دلالات معينة تقوي المعنى المطلوب ,حيث يرى الدكتور النويهي في كتابه"الشعر الجاهلي" على أن:"اشتراك الكلمات في حرف واحد من الأول أو الأوسط قد يكون انسجام بين الصوت المتكرر وبين المعنى الذي يراد التعبير عنه, وبخلاف ذلك قد يحصل تنافر بين الأصوات المتكررة والمدلولات, والأمر هنا لا يختلف كثيرا عن التنافر الذي يمكن أن يقوم بين شكل الصورة البيانية عند الشاعر وبين دلالتها"[54]

وأكثر ما شد انتباهنا في المزدوجة أن تعاضد الحروف المهموسة والمجهورة على إبقاء الدلالة المقصودة من قبل الشاعر في غير نفور أو ضعف, وخاصة في المقاطع التي يغلب عليها الطابع القصصي الذي يوفر لها الترابط والتلاؤم والإيقاع المتنامي الذي لا تمله أذن المتلقي ولا تحس بانقطاع في ثناياه فالدوال المتشابهة أدت وظيفتها وهو ذلك التجانس الصوتي وترابط المعاني وتآلفها.

ومن خلال تواتر الأصوات المهموسة والمجهورة تنتج لنا ثنائية مزدوجة بينها مما أدى إلى تنوع الأصوات في المزدوجة بين القوة والضعف, وبين الاضطراب والهدوء وبين الظاهر والباطن لقياس مدى توافر وانسجام الثنائيات على المستوى الصوتي.

---

[53] المزدوجة ص16

[54] د.طالب محمد الزوبعي ود:ناصر حلاوي:البيان والبديع ,دار النهضة العربية للطباعةوالنشر–بيروت:ط1س1996 ص 148